

## خليل مطران

شاعر الحرية

١٨٧٢ - ١٩٤٩



شاعر الحرية والعروبة، حمل لواء التجديد في الشعر،  
نيفا ونصف قرن من الزمان، وبلغ الذروة في عالم الشعر  
والفن والبلاغة والخيال.

ولد سنة ١٨٧٢ في بعلبك إحدى المدن الشهيرة  
ببلبنان، ونشأ نزاعاً إلى الحرية سمح النفس، كريم الخلق،  
صفي السريرة، محباً للخير، وديعاً في شمم وإبائه، معتزلاً  
بكرامته، عيوفا عن الصغائر.

ضاق صدرًا منذ صباه بجو يضغط على حرية الرأي  
والفكر، فارتحل إلى باريس يتم فيها دراسته وعلومه، وهناك

ارتوي من مناهل الآداب الغربية، وإذ كانت شاعريته وليدة فطرته وسليقته، فقد اتجهت نفسه  
بتأثير الأدب الفرنسي إلى التجديد في شعره، فجمع بني البلاغة العربية والأساليب والمعاني  
الأوروبية.

ثم هاجر إلى مصر، واتخذها موطنه الثاني، بل موطنه المختار.

أخلص لها، وغرد في أكنافها، وتعشق نيلها وأرضها وسماءها، وهو ثالث الثلاثة الذين  
عاشوا معا وانتهت إليهم زعامة الشعر في العصر الحديث: شوقي وحافظ ومطران.

ألهمه حب الحرية نظم القصائد الرائعة في تمجيدها والذود عنها، والجهاد في سبيلها، فكا  
من أعلامها الخالدين.

كان إنسانا في شخصه وفي أخلاقه وفي شعره وأدبه.

كان في عشره ينشد الكمال، ويحلق في أجواء الحرية والوطنية.

كان يستلهم شعره من المثل العليا، وفي ذلك يقول عن نفسه في الاحتفال ببوبيله الذهبي

سنة ١٩٤٨.

كان في الشعر لي مرام خطير	فعدا طوقى المرام الخطير
هائم في الوجود أسأله الوحـ	ي كما يسأل الغني الفقير
أكبروني ولست أكبر نفسي	أنا في الفن مستفيد صغير
لا يضق صدر عاشر بأخيه	يكره الفضل أن تضيق الصدور
والسماوات لو تأملت فيها	ليس تحصي شمسها والبدور
كل جرم يعلو ويصبح نجما	قله حيز وفيه بدور
والنجوم التي تلوح وتخفي	ربوات وما يضيق الأثير

وبهذه الروح العالية، والنفس الصافية، والود الخالص، والإيثار والأريحية، عاش محبوباً من معاصريه: يحبهم ويحبونه، وينشد لهم الخير والكمال.

وقد أرخ شعره الوطني العذب مراحل النهضة المصرية والشرقية، وسجل حوادثها ووقائعها، وترجم لرجالها وأشخاصها، وغذى بقصائده الروح الوطنية جيلا بعد جيل.

يمتاز شعره بسعة الخيال وجمال التصوير وبلاغة التعبير، هذا إلى اقتباسه من آداب اللغة الفرنسية التي درسها وتمكن منها تمكنه من آداب اللغ العربية، فجمع بين الثقافة العربية والثقافة الأوروبية، وهو زعيم مدرسة التجديد في الشعر العربي، وسار على نهجه تلاميذه ومريدوه.

وقد عبر أبلغ تعبير وأرقه عن منهج التجديد في شعره، بقوله في مقدمة الطبعة الثانية لديوانه سنة ١٩٤٨ قال:

"هذا شعري، وفيه كل شعوري، هو شعر الحياة والحقيقة والخيال، نظمته في مختلف الآونة التي تخلت فيها عن العمل لرزقي، نظمته مصباحاً وممسياً، منفرداً ومتحدثاً مع عشرائي، وقيدت فيه زفرائي وأحلامي، وسجلت بقوافيه أحداث زمني وبيئتي في دقة واستيفاء.

"أتابع السابقين في الاحتفاظ بأصول اللغة، وعدم التفريط فيها، واستيحاء الفطرة الصحيحة، وأتوسع في مذاهب البيان مجارة لما اقتضاه العصر، كما فعل العرب من قبلي، أما

الأمنية الكبرى التي كانت تحببش بي، فهي أن أدخل كل جديد في شعرنا العربي بحيث لا ينكره، وأن استطع إقناع الجامدين بأن لغتنا أم اللغات إذا حفظت وخدمت حق خدمتها، ففيها ضروب الكفاية لتجاري كل لغة قديمة وحديثة في التعبير عن الدقائق والجلائل من أغراض الفنون، واني لأرجو أن يرى المطلعون على هذا الجزء الثاني وما يليه من أجزاء (ديوان الخليل) مصداقاً لدعواي".

وقال عنه صنوه وصديقه حافظ يشيد بنزعتة في التجديد:

"هو في طليعة أولئك الذين خرجوا من أفق التقليد وصدعوا قيود التقييد، وأوسعوا صدر الشعر العربي للخيال الأعجمي، وأفسحوا فيه للقصص وتصوير الحوادث، وطوفوا يسرد وقائع التاريخ، ففتح بذلك فتحة جديداً شت فيه الغارة على أهل الحفاظ والتمسك".

وكان من أركان المسرح العربي بما كتب لهذا المسرح وعرب، فقد ترجم ليالي الفريد دي موسيه، ورواية هرثاني لفكتور هيجو، كما ترجم لكورنيل مسرحيات (السيد) وسينا وبوليكت، وترجم روايات شكسبير: هاملت، ومكبث، وعطيل، وتاجر البندقية.

## النهضة العربية

قال سنة ١٩٠٨ يحيى نهضة الشعوب العربية:

فاسـتانفي في الخافقين عـلاك	داع إلى العهد الجديد دعـاك
أي الفخـار نميتـه ونمـاك؟	يا أمة العرب التي هي أمـنا
وهواك منا في القلوب هواك	يمضي الزمان وتتقضي أحداثه
بالرأي لا بالصـارم الفتـاك	إننا نقاضي الدهر في أحسابنا
لسعادة الأقوام خير مـلاك	وملاك شـيمتنا الوفا إنـه
أشـباحنا يوم الفـداء فدـاك	أماننا آلامنا أرواحنا
وبه نركي في الـورى ذكـراك	بالعلم ننشر ما أنطوى من مجدنا

## مطران ومصطفى كامل

كان بينه وبين الزعيم مصطفى كامل صداقة وود داما طول العمر، كان مؤيدا لدعوته نصيراً لرسالته، دافع عنها في حياة مصطفى، وظل وفيها لها بعد وفاته، ويبدو مبلغ إعجابه به وتقديره لعبقريته في قصيدته التي أنشدها سنة ١٩٠٨ في حفلة الأربعين لوفاته، وقد نشرها في ديوانه وصدرها في طبعته الأولى بهذه الكلمة التي تعد في ذاتها قصيدة من النثر المنظوم، قال: "مصاب الشرق في رجله المفرد، وبطله الأوحده، مصطفى باشا كامل، أيتها الروح العزيزة! إن في هذا الديوان الذي اختتمه برثائك، نفحات من نفحاتك، ودعوات من دعائك، فإلى هيكلك المدفون بالتكريم تحية الأخ المخلص للأخ الحميم، ووداع المجاهد المتطوع للقائد العظيم".

وجعل عنوان القصيدة (حق الوطن وحق الإخاء) قال:

أعلى مكانتك الإله وشرفا  
اليوم فزت بأجر ما أسلفته  
وجزيت من فاني الوجود بخالد  
فانعم بطيب جواره يا (مصطفى)  
خيراً، وكل واجد ما أسلفنا  
ومن الأسى الماضي بمقتبل الصفا

\*\*\*

أعظم بيومك في الزمان ومن له  
حيث الوفد من الملائك أقبلا  
وتحملوك على الأشعة وارتقوا  
فوردت وردك في الخلود منعماً  
لم تلف قبلك أمة في مشهد  
يمشون من حول الجنازة ضائفاً  
متثاقلين من الوقار وإنما  
بحر من الأحياء نعشك فوقه  
يكون في آثاره العمل الذي  
بك واصفاً ذاك الجلال فيوصفا  
حافين حولك في السرير وعكفا  
سرياً يجوز بك الدراري موجفا  
والأرض مائدة عليك تأسفا  
يذرو الرجال به المدامع ذرفاً  
بهم الرحيب من المسالك مصرفا  
ساروا بطيف ناحل أو أنحفا  
فلك يظالقه اللواء مرفوفا  
آثاره من رفعة لا تقتفي

\*\*\*

ملق على الأبصار سترا أغدفا  
خطب ألان بروعه صمم الصفا  
من دمعهم إن خانهم متكففا  
بعد الفقيد فتى بهم فتوقفا  
هو خير من والي وأوفى من وفي  
ليزيل ذاك العارض المتكشفا  
لما مضيت ولست فيهم مخفا

سعت الخوادر حاسرات والأسى  
ولئن سفرن ولم يخلن فإنه  
فزع الشباب إلى الشيوخ بثأرهم  
ومن الغضاضة أن دعا داعي العلا  
جزع النصارى واليهود لمسلم  
بكوا المرجي في خلاف عارض  
واشتد رزه المسلمين وحزنهم

\*\*\*

يعلي لهم صوتاً وينشر مصحفاً؟  
ويرد نقد الناقدن مزيفاً  
ويزيل ما يلد التناكر من جفا  
همما تعيد له المقام الأشرفا  
سماً تهز لكل خطب معظفا  
ليذود عنه خصمه المتعسفا  
فلقد تجاوزت الهدى متفلسفا  
أكون منقصة لها أن تكسفا؟  
يثني أشعتها إلى أن يكشففا  
للعالمين ورا دعاً ومتقففا  
أن قصر الأقوام عنه فأخلفا  
أن خالفوه فما استحال ولا انتفى  
لننا به هذا الرقي مسلفا  
ومني السماحة عودة مستأنفا  
والشر كل الشر أن يتخلفا  
بين العناصر أو يهين ويضعفا  
سقم ولم يتلاف عم وأتلفا  
بسلامة الإسلام وهي لها شفا

من بعد كاتبهم وبعد خطيبهم  
من يبئ الإسلام من تهم العدى  
بيدي لأعين جاهليه فضله  
ويثير من غضب الغضاب لمجده  
لكن من أقلام جنك حوله  
ولعل حرا لا يدين به أنبري  
قف أيها الناعي عليه جموده  
إن يعتز الشمس الكسوف هنيهة  
وهل الكسوف سوي تعرض حائل  
لم تنزل الأديان إلا هاديا  
بشعار حي على الفلاح وما بها  
ويكل أمر موجب إصلاحهم  
قد كان للإسلام عهد باهر  
ملاً البلاد إنارة وحضارة  
فالخير كل الخير فيه مقبلاً  
يدعو البقاء إلى التكافؤ بالقوى  
والخلق جسم إن ألم ببعضه  
بشرى البرية بعد مزمن دائها

إن أغضبت تلك السلامة جائراً  
يا من نهضت بنصره وأبنته  
مازلت في مصر تقيم مناره

أرضت خبيراً بالحياة ومنصفاً  
حق الإبانة هل تبالي مرجفاً؟  
حتى أنار الكون منها مشرفاً

مصر العريضة قد ذكرت لك اسمها  
وكأنني بالقبر أصبح منبراً  
مصر التي لم تحظ من نجبائها  
مصر التي لم تبلغ إلا نفعها  
مصر التي غسلت يداك جراحها  
مصر التي كافحت لاعداداتها  
مصر التي سقت الجيوش مناقبها  
مصر التي أحببتها الحب الذي  
حتى مضيت كما ابتغيت مؤلفاً  
أمنية أعييت خالك دونها  
وهي التي لو قسمت لنما بها

وأرى ترابك من حنين قد هفا  
وكأنني بك موشك أن تهتفا  
بأعز منك ولا تعز بأحصفا  
في الحاليتين ملاينا ومعنفا  
بصبيب دمعك جارياً مستنزفاً  
متصدراً لرماتها مستهدفاً  
ومني لتكفيها المغير المجففاً  
بلغ الفداء نزهة وتعففاً  
من شملها ما لم يكن ليؤلفاً  
لو لم يضافرها رداك فيسحفاً  
شعب يعز بنفسه مستنصفاً

\*\*\*

من كان أجراً منك يوم كريهة  
من كان اقدر منك تصريفاً لما  
من كان أظهر منك خلقاً جامعاً  
من كان أزهد منك إلا في الذي  
من كان أسمع منك مناعاً لما  
من كان أصدق منك لا متصلاً

بالحق لا شكساً ولا متصلاً  
يعيي الحكيم مدبراً ومصرفاً  
فيه مهيب الطبع والمسـتظرفاً  
يجدي البلاد فتبتغيه ملحفاً  
تهوي ومعطاءً لغيرك مسرفاً  
مما تقول ولا تعاهد مخلفاً

\*\*\*

لهفي على فخر الصبي هادي النهي  
يا من نعي تلك الفضائل والعلي  
لا لا وحقك يا شهيد وفائه  
ما أنت بالرجل الذي يمسي وقد  
إنبي أراك ولا تزال كعهـدنا  
ثابر على تلك العزائم ذائداً  
أصدر صحائفك التي تحيي بها  
تجري بها الأنهار وهي دوافق  
وتكاد أسطرها تهب نواطقاً  
فإذا حنوت على الحمي متحبياً  
وكأنما الألفاظ مما خففت  
تستام من أثوابها أرواحها  
قم للخطابة في المجمع وامتلئ  
أعد القديم من الممالك والقرى  
شدد عزائمنا وقاتل ضعفنا  
ما هذا الآيات يرمي لفظها  
ما ذلك الترصيع ليس مرصعاً  
وحي بأهجية إذ ما أطلق  
تحيي حرارتها ويهدي نورها  
تالله ما أنت الخطيب وإنما  
عن نطقه تقع الصروف مواظاً

عالي اللواء حمى المروءة والوفا  
أغدت معالمهن قاعاً صمصفا  
ورجائه كذب النعي وأرجفا  
ملئ الوجود به ويصبح قد عفا  
بك في جهادك أو أشد وأشعفا  
عن مصر تضرب في البلاد مطوفا  
بضو الطريق وتدفع المتخفا  
همما وتوشك أن تطم فتجرفا  
ويكاد يعزف كل حرف معزفا  
فهو النسيم وقد ذكا وتلظفا  
نقش المداد رسوماً وتخففا  
وتعاف تحليمة لئلاً تكشففا  
تلك النفوس مروعا ومشنففا  
ذكرى وعرفنا الحياة لنعرففا  
حتى نبيت ولا نرى متخوففا  
شراً وتهوي الشهب فيه أحرففا  
ما ذلك التوقيف ليس مفوففا  
هبطت رواسب عنه والمغزي طففا  
متماهل الإشراق أو متخطففا  
وقف القضاء من المنصة موقفا  
وكأمره أمر الزمان مصرففا

\*\*\*

يا حبذا لو كل ذلك لم يزل  
والآن نحن لدى ثراك نحجه  
نثني وهل يوفي ثناؤك حقه  
ماذا يعيذك من شبابك نظمنا

لكنه حلم مضى مستطرففا  
متلهبين تشوقاً وتشوففا  
وبأي ألفاظ المحامد يكتفي  
فيك الرثاء منسقا ومصففا

ويعيـض منك وكنـت جواهر الحمى

صوغ الكلام مرصعا ومزخرفا

\*\*\*

يا أخلص الخالصاء أبكي بعده  
هذا مثالك لاح يرعانا وقد  
جاد الهلال برسمة تاجاً له  
يا من رماء عاداته بتطرف  
كهواك للأوطان فليكن الهوى  
يجري على قدر المطالب ناميا  
أنشأت من مصر الشتات بفضله  
أحدثت فيها أمة أندى يداً  
عرفت أهلها حقيقة قدرهم  
نفحات روحك خامرت أرواحهم  
حصن أشم تساندت أجزاءه  
فارقـد رقادك إن ربك قد محا

كبكاء مصر تحرقا وتلهفا  
كشـف الجوى عنه الحجاب فأشرفا  
وكسـته ناسجة الطهارة مطرفا  
حققت آمال الهدى متطرفا  
لا مفتري فيه ولا متكفـفا  
ويجل في مجراه عن أن يصدفا  
مصر الفتاة حمى يعز ومألـفا  
للصالحات وبالعظائم أكلفا  
وكفاهم من قدرهم أن يعرفا  
فهم مرامك ساء دهر أو صفا  
علما وأمنه النهي أن ينسفا  
بك ذنب مصر كما رجوت وقد عفا

وله في سنة ١٩٣٣ قصيدة عصماء ألقاها لمناسبة مرور عام على وفاة حافظ إبراهيم،  
ضمنها وصفاً رائعاً للنهضة القومية التي كونت حافظاً، وجعلته الشاعر المطبوع المترجم عن  
آمالها وآلامها، وكيف أن هذه النهضة هي غرس مصطفى كامل، وكيف تهدها بجهاده إلى أن  
مات، وبموته كانت الآية التي تم بها استقرارها، قال فيها:

طرأت حالة تـيقظ فيها  
فاذا (حافظ) وقد بث ما في  
وبدا للمنى الجلائل فيها  
ما تجلي نبوغه كتجليه  
يوم نادي الفتى العظيم قلبى

لدعاة الهدى ضمير السواد<sup>(٤)</sup>  
نفسه من تجهم واربداد  
أفق واسع المدى لارتداد  
وقد هب (مصطفى) للجهاد  
من نبا<sup>(٥)</sup> قبله بصوت المنادي

وورى<sup>(١)</sup> ذلك الشعور الذي كما  
فتأتي بعد القنوط الدجوج—  
مس منه السواد فانجست نا  
أكبر الدهر وثبة وثبتها  
وثغاء<sup>(٢)</sup> غدا هزيماً<sup>(٣)</sup> فألقى  
ما الذي أخرج الشجاعة من حيـ  
وجلا غرة الصلاح فلاحت  
فإذا أمة أبيعة ضميم  
نهضت فجأة تتأفح في آ  
أجنيباً ألقى المراسي حتى  
وهواناً كأنما طبع الشعب  
حلبة يعذر المقصر فيها  
ليس تغيير ما يقوم يسيرا  
غير أن الإيمان كان حليفاً  
فاستعانوا به على ما ابتغوه

إلى أن قال:

بعد وثب في إثر وثب عنيف  
ساور الأمة التردد والتا  
لا تسئل يومذاك عن جلد القا

ن كميناً كالنار تحت الرماد  
ي<sup>(٦)</sup> رجاء للشاعر المجواد  
ر ونور من طي ذاك السواد  
مصر مفتكة من الأصفاد  
رعبه في مراض الأساد  
ث طوتها قرون الاسـتبداد  
تزدهي من غياهب الإفساد  
مالها غير حقها من عتاد  
ن عدوين أسرفا في اللداد  
تقلع الراسيات في الأطواد  
عليه تقادم الإخـلال  
والخواتيم رهن تلك المبادي  
كيف ما عودوه من آماد؟  
لقلوب الطليعة الأنجاد  
غير باغين من بعيد المراد

وارتداد في الشوط غب ارتداد  
ث<sup>(٧)</sup> عليها في السير وجه الرشاد  
دة في ملتقى الخطوب الشداد

(٤) يرد الجمهور.

(٥) نبا: جافى وتباعد.

(١) وري الزد: خرجت نار.

(٢) الثغاء: صوت الشاة والمعز.

(٣) الهزم: صوت الرعد.

(٦) المظلم.

(٧) التاث عليه الأمر: اختلط والتبس.

لا كفاحاً وعزمهم في ازدياد  
مباليين أنها لنفاد  
أ عن النفس صراع العوادي  
حدث من خوارق المعتاد  
كر فداء أن كنت أول فاد  
بييت قومياً بذاك الاستشهاد  
بعده في القلوب والأخلاق (١)  
ح مقيم فيهم على الأباد  
لمحة من جلال يوم المعاد  
بينهم وهو قوة الأعداد  
كم تحامي أن يدركوه الأعادي  
في صفوف فتية للزيادة  
رابط الجأش غير سهل المقاد  
بعد طول الخمود والإخماد  
سلماتاً للخرج والإصعاد  
زاد منه العليا كل مراد

كلما ازدادت الصعاب أبوا إ  
بيذلون القوى وفوق القوى غير  
و(الزعيم الأبر) أطي بهم نفس  
هل ينجي شعباً من اليأس إلا  
مصطفى مصطفى بحسبك إن يذ  
مصطفى مصطفى ليهنئك أن أح  
دب فيهم روح جديد له ما  
تنقضي الحادثات بعدك والرو  
كاد يوم شيعت فيه يريهم  
صدروا عنه بالتعارف فيها  
واستشفوا لبأسهم فيه سرا  
هذه مصر الفتية هبت  
رجل مات مخلفاً منه جيلاً  
عهد نور من الحفاظ ونار  
تخذت عبقرية الشعر فيه  
أبلغت (حافظاً) من الحظ أوجاً

## إزاحة الستار عن تمثال مصطفى كامل

وله في سنة ١٩٤٠ قصيدة عن مصطفى كامل نظمها بمناسبة إزاحة الستار عن تمثاله  
بعد أن ظل حبيباً في "مدرسة مصطفى كامل" من سنة ١٩١٤. قال:

ماذا خشوا من فتنة التمثال؟  
فاضت أسى ودموعهن غوال  
وجلاء من أوفى بنيتها جال  
وتذاد عنهم يوم الاستقلال؟

أمنوا بموتك صولة الرئبال  
حبسوه عن مقل إليه مشوقة  
حتى أرادت مصر غير مرادهم  
أتهى استقلال قومك جاهداً

(١) الأخلاق: العقول.

أنصفت بعض الشيء بل هي توبة  
فلقد تئوب وجد غيرك عاثر  
يا حسن عودك والكنانة حرة  
أبروعك الحشد الذي بك يحتفي  
ماذا بثت من الحياة جديدة  
بعث لموطنك العزيز رجوته  
خاطرت فيه بالشباب وبذله

في بدائها ولكل بدء تال  
فيها ادعى صلفا وجدك عال  
تلقاك بالإكرام والإجلال  
من غر فتيان وصيد رجال  
في هذه الأساد والأشبال  
وسواك يحسبه رجاء محال  
سرف لمطوب بعيد نوال

\*\*\*

أي مصطفى! ولت سنون وما اشتفى  
عجب بقائي بعد أكرم رفقة  
هم صفوة الدنيا وكانوا صفوها  
حزن بعيد الغور في قلبي فإن  
ماذا أقول وهذه أسماؤهم  
تعتادني في مسمعي أو ناظري  
إنني لأحفظ عهدهم وأصونه  
وكان حسي حسهم فرحا بما  
كما في مغارسهم جنى ألفيته  
سلوى أتاحتها مآثرهم وقد  
وكذاك مجد العبقرية والفدى

شوقي إليك فهن جد طوال  
زالوا ولم يشأ القضاء زوالي  
فأحق حي بالأسى أمثالي  
وجب الرثاء فإنما يرثي لي  
وشخصهم ملئ الزمان حيالي  
والى يمني تارة وشمالي  
في كل حادثة ولسنت بآل  
يقضي الحمى من حقهم ويوالي  
متجددا بتعاقب الأحوال  
يغدو الفراق بها شبيهه وصال  
لا ينقضي بتحول الأحوال

\*\*\*

أي مصطفى ما كنت إلا كاملا  
ماذا لقيت من الصبي ونعيمه  
إنني شهدت شهادة العينين ما  
متطوعا تسخو بما يفني القوى  
إذ قمت بالأمر الجسام ولم يكن

لو كان يتصف امرؤ بكمال  
غير المكاره فيه والأهوال  
عانيت في الغدوات والأصال  
من جهد أيام وسهد ليالي  
فيمن أهبت بهم مجيب سؤال

حال التورع دون إغراء المنى  
والقوم في ظمأ ووعدك مطمع  
تسعي ويعترض السبيل فنوطهم  
فتظل تضرب في جوانبه وما  
لك دون ما تبغي مضاء مصمم  
حتى إذا وضح اليقين وصدقت  
فثوبت أظهر ما تكون على عدى

زمننا نما من مسعد وموال  
لكن يرون له رفيف الآل  
في كل حل منك أو ترحال  
تلقي إلى نظر الحبوط بيال  
لا ينتهي وبلاء غير مبال  
دعواك آية ربك المتعالي  
مصر بعقبني ذائك المغنال

\*\*\*

هزت منيتك البلاد ولم تكن  
فالقوم من جزع عليك كأنهم  
كشف الأسى لهم الحجاب فأيقنوا  
وتبينوا أن الخنوع مهانة  
لله حسن بلانهم لما أبوا  
وتوثبوا بعزيمة مصدوقة  
يردون حوضا والمنايا دونه  
حتى أتى الفتح يجلو حسنه  
فتح بدا اسمك وهو في عنوانه  
إيها شديد الحب للبلد الذي  
أبهج بأوبتك السنية طالعا  
للذكر آفاق سحيقات المدى  
فإذا دنبت منا فتلك عوالم  
تطوي من الأدهار ما لا ينقضي  
أنوار وجهك طالعتنا اليوم من  
قد أثبتتها مصر بين عيونها  
نعم الثواب لذي مآثر في الفدى

بأشد منها هزة الزلزال  
آل وقد رزقوا عزيز الآل  
أن الحياة مطالب ومعال  
لا يستطال بها مدى الأجال  
متضاافرين دوام تلك الحال  
برئت من الأحقاد والأوجال  
مستبسلين ضروب الاستبسال  
في يومه إحسان يوم خال  
متخضبا بدم الشباب الغالي  
لا أنت ساليه ولا هو سال  
في أفقه كالكوكب المتلاهي  
ولزهرها المتألمات مجال  
وإذا نأت عنا فتلك لآلي  
وتجول في الأفكار كل مجال  
برج حلت به لغير زيال  
فالحال متصل بالاسـتقبال  
فرضت محبته على الأجيال

\*\*\*

عانتَه في الأصْفاد والأغلال  
ومــــذلل الألام للأمال  
وخطيب ثورتها في الاستهلال  
في ملتقى ذي روعة وجمال  
مالا تداني صنعة المثال  
إلا ذرائعها فضول المال  
يك مكس جاب أو تطول وال  
فيروع بين حقيقة وخيال  
أثراً على الأيام ليس ييال  
أوفي وأكفي من فصيح مقال  
في كل نازلة وكل نضال

فتيان مصر وعهدا غير الذي  
حيوا مدبل حياتها من بأسها  
حيوا زعيم اليقظة الأولى بها  
هذي مواكبها وتلك وفودها  
حفلت برمز نهوضها ومثاله  
لكنها مهج بنته ولم تكن  
وكفاه فخرا أن ذاك المال لم  
رسم يلوح وفيه معنى أصله  
لان الحديد له فصاغ لعينه  
كم في بليغ سكوته من عبرة  
هو خالد ويظل مدره قومه

## تحيته للمجاهدين في المؤتمر الوطني ببروكسل سنة ١٩١٠

ونظم في سنة ١٩١٠ قصيدة ناجي فيها الوطنيين الأحرار الذين اغتربوا عن مصر  
لحضور المؤتمر الوطني الذي عقد برئاسة المرحوم محمد فريد بمدينة بروكسل في سبتمبر سنة  
١٩١٠.

شفق تخلف عن بديع نهار (١)  
فوق الذرى منها برفق نضار (٢)  
فتعود سحر من الأسحار؟  
فتبينوه ييا أولى الأبصار  
ضواءاً تألّق من وراء ستار

أتراه فوق مناكب الأدهار  
حقب دجت منها السفوح ولم يزل  
يا مغرب الماضي أما من آية  
هذا صباح مقبل من غيبه  
تجد العيون على نواصي أفقه

(١) يشير إلى ذكرى المجد القديم وأنها باقية على الدهر ويعبر عنها بالشفق، أي النور المتخلف عن الشمس بعد غروبها.

(٢) الحقب السنون. ودجا أظلم. الذرى؛ جمع ذرّة، أعلى الشيء. والنضار الذهب. أي أن عهد التأخر في تركت ظلاماً مخيماً على البلاد ومع ذلك لا يزال فوق الذرى نور الشمس التي غرت.

سحر الرجاء بدا لكم وإزاءه  
شقان من حلي أغر تصوغه  
تاج سنلبسه الفتاة مخففا  
ويكون من آياته وشعاعه

شفق البقية من علاً وفخار (١)  
تاجاً لمصر أنامل المقدار (٢)  
عن أمها في سالف الأعصار  
آيات مجد رجالها الأخيار

\*\*\*

نجداء مصر الواترين لعزها  
خوضوا غمار الضيم دون رجائكم  
ما شاء سعد الدار أن تشقوا له  
إن شق ترحال فهذي هجرة  
سيروا تنموا في الحياة فطالما  
ما اللج وادع أو تشاكس حارنا  
ما البر أنجد أو أغار بجائب

وجلالها من ذلة وصغار (٣)  
لا فوز إلا بعد خوض غمار  
فاشقوا له ما شاء سعد الدار  
لا شقة (٤) في مثلها فبدار  
كان التقاعس مؤذنا ببوار  
إلا ذلوا الراكب الكرار (٥)  
إلا سليب خطي ونهب قطار (٦)

\*\*\*

ركب النجاة استطلعوا للبلادكم  
هزوا منابره بعالي صوتكم  
أنتم جنود السلم رسل جهاده

في الغرب كل مطالع الأنوار  
حتى يرن صده في الأقطار  
أنتم أشعة مصر في الأمصار

(١) أي يتجلى فجر الأمل وأمامه الذكرى الساطعة للمجد القديم.

(٢) الحلي وجمعه حلي ما يصنع من مصوغ المعنويات، أو الحجارة الكريمة والمقدار هو القدر، يريد أن مجد الماضي والمجد المأمول للمستقبل يتقابلان كشقي تاج لمصر.

(٣) يخاطب ركب المؤتمر وأعضاءه. ويصفهم بأنهم ذاهبون ليثأروا لمصر مما أصابها من ذلة وضميم.

(٤) الشقة: السفر البعد.

(٥) لحج البحر أمواجه. أي ليس البحر إن سهل أو صعب إلا كالركوبة الذلول للفارس الذي يروضها.

(٦) الجائب المسافرين.

عن حزنها والنور بث النار  
حق الحياة وما بها من عار  
أسمى الهنات وأشرف الأوطار

أنتم أشعة حزمها شفافة  
ترجون أن تحيوا وتحيا مصركم  
لا تسأمون تغربا في مبتغي

\*\*\*

في غير حكم الواحد القهار  
لعشيرة غلابة وديار  
في نكر معرفة وغصب جوار  
متناقض الإعلان والإسرار  
متعارض الإقبال والإدبار

الحكم شورى لا تفرد صالح  
لا تسترق عشيرة وديارها  
العدل إن يقصد فليس بكائن  
الرأي تكمد شمسه في موطن  
الخير تفقد سبله في مجمع

\*\*\*

هذي المطالب وهي خير شعار  
غير الحقيقية طامحي الأنظار  
بين الشعوب السابق الأحرار  
من لم يخلكم من ذوي الأخطار<sup>(١)</sup>  
إلا أحق مطالب الأحرار  
في فترة التفكير والإضمار  
وثبت عليه فجاءة التزّار<sup>(٢)</sup>

ماذا عليكم أن تكون شعاركم  
لستم بسفاكي دم، لستم إلى  
لستم غلاة، والأقل مرامكم  
لستم غلاة، خال ذلك منكم  
ليس الذي تبغونه من مطلب  
من لم يخل في مصر عبداً شاكياً  
أجزع بسار آمن في معهد

\*\*\*

---

(١) أي لستم غلاة كما توهم ذلك من ظن أنكم لستم من ذوي الكفايات والأقدار .

(٢) أجزع: أي ما أشد جزء. والفجاءة مصدر فجأة. و التزّار زبير الأسد. يريد أن الإنجليز فوجئوا بالحركة الوطنية في ذلك العهد، كما يفاجأ الساري بزبير الأسد.

وهو الحقيقي بغاية الإكبار  
ليس العظيم نفوسهم بصغار  
وجميع من فيها من الأنصار (١)  
بالحق للبلد العزيز الجار  
برجوع شمس نهاره المتواري

إنني ليعجبني كبير مرامكم  
وأقول للمزري بسن صغاركم  
أمهاجري أرض الكنانة إنكم  
امضوا دعاة للهدى واستصفوا  
كونوا الشهود له على أعدائه

## الثبات في الكفاح

وقال لما زاد اضطهاد الحكومة للأحرار وسلطت قانون المطبوعات على الصحف:

واقتلوا أحرارها حراً فحراً  
آخر الهر ويبقى الشر شراً  
يمنع الأيدي أن تنقش صخرًا  
يمنع الأقدام أن تركب بحرًا  
يمنع الأعين أن تنتظر شزرا  
يمنع الأنفاس أن تصعد زفرا؟  
وبه منجاتنا منكم.. فشكرا!

شردوا أختيارها بحرًا وبرًا  
إنما الصالح يبقى صالحا  
كسروا الأقلام هل تكسيرها  
قطعوا الأيادي هل تقطيعها  
حطموا الأقدام هل تحطيمها  
أطفئوا الأعين هل إطفأؤها  
أخمدوا الأنفاس، هذا جهدكم

وقال في هذا المعنى حين توعدته الحكومة بالنفي من مصر على أثره نشره الأبيات

السابقة:

فرسي مؤهبة وسرجي  
فالمطية بطن لرج  
قول وهذا النهج نهجي

أنا لا أخاف ولا أرجي  
فإذا نبابي متن بر  
لا قول غير الحق لي

(١) يسعى أعضاء المؤتمر المهاجرين. وسكان مصر الأنصار، تشببها لهم بالمهاجرين والأنصار في صدر الإسلام.

الوعد والإبعاد ما كانا لـدى طريق فلجج (١)

## يحيى رأس السنة الهجرية

ونظم سنة ١٩١١ قصيدة عصماء حيا بها العام الهجري (١٣٢٩)، خاطب فيها شباب مصر ودعاهم إلى الاعتبار بما في هجرة الرسول الكريم من المعاني الجليّة، والأغراض السيامية، وأهاب بهم أن يضاعفوا جهودهم لبعث الحياة في مصر والشرق. قال:

هل الهلال فحيوا طالع العيد  
يا أيها الرمز تسجلى العقول به  
كأن حسنك هذا وهو رائعتنا  
الله في الخلق آيات وأعجبها  
حيوا البشير بتحقيق المواعيد  
لحكمة الله معنى غير محدود  
حسن لبكر من الأقمار مولود  
تجديد روعتها في كل تجديد

\*\*\*

فتيان مصر وما أدعو بدعوتكم  
سوى الأهله من علم ومن أدب  
المستسر شعار المقتدين به  
ما زال من مبدا الدنيا ينبئنا  
فإن تسيروا إلى الغايات سيرته  
سوى مجيبين أحراراً مناجيد (٢)  
مؤملين لفضل غير مجود  
العاملين بمغزى منه مقصود (٣)  
أن التمام بمسعاة ومجهود  
إلى الكمال فقد فزتم بمنشود

\*\*\*

(١) الفلج: الظفر.

(٢) المناجيد: الشجعان السباقون إلى النجدة.

(٣) المستسر: المستتر، أي القمر الذي لم يبد في مطلعته إلا أقله.

يا عيد جئت على و عد تعيد لنا  
بل كنت "عيدين" في التقريب بينهما  
رددت يوماً يسر المؤمنون به

أولى حوادثك الأولى بتأييد  
معنى لطيف ينافي كل تبعيد  
ولم تكن بادئاً يوماً لتعييد

\*\*\*

رسالة الله لا تنهي بلا نصب  
رسالة الله لو حلت على جبل  
ولو تحملها بحر لشب لظى  
فليس بدعا إذا ناء الصفي بها  
ينوي الترحل عن أهل وعن وطن  
يكاد يمكث لولا أن تداركه

يشقى الأمين وتغريب وتأكيد  
لا نذك منها وأضحى بطن أخدود  
وجف وانهاه فيه كل جلمود  
وبات في ألم منها وتسويد  
وفي جوانحه أحزان مكبود  
أمر الإله لأمر منه موعود

\*\*\*

فاذ غلا القوم في إيذائه خطلا  
دعا الموالين إزماعا لهجرته  
مضى هو البدء، والصديق يصحبه  
موليا وجهه شطر (المدينة) في  
حتى إذا اتخذ الغار الأمين حمى  
حماه وشى بباب الغار منسدل  
يا للعقيدة والصديق في سهر  
إن العقيدة إن صحت وزلزلها  
أما أصحاب الذين استأخروا تلوا

وشردوا تابعيه كل تشريد  
فلم يجبه سوى الرهط الصناديد  
يغامر الحزن في تيهاء صيخود<sup>(١)</sup>  
ليل أغر على الأدهار مشهود  
ونام بين صفاه نوم مجهود  
من الألى هددوه شر تهديد<sup>(٢)</sup>  
تؤذيه أفعى ويبكي غير منجود  
مفني القرى فهي حصن غير مهدود  
سارين في كل مسرى غير مرصود

(١) التيهاء: أرض يتيه فيها السالك. وصيخود شديد الحر.

(٢) إشارة إلى ما نسج العنكبوت ببابه فضل المتعقبين للرسول.

ماجند قيصر أو كسرى إذا افتخروا  
كأنهم في الدجى، والنجم شاهدهم،  
كأنهم وضياء الصبح كاشفهم  
في حيلة الله ما شعت أسنتهم

كهؤلاء الأعزاء المطاريـد (١)  
فرسان رؤيا لشأن غير معهود  
مال خير سرت في مهجة البيد  
فوق الظلال على المهريـة القود

\*\*\*

عانى "محمد" ما عانى بهجرته  
وكم غزاة وكم حرب تجشمها  
كذا الحياة جهاد، والجهاد على  
أدنى الكفاح المرء عن سفه  
ليغنم العيش طلقاً كل مقتحم  
ومن عدا الأجل المحتوم مطلبه

لمأرب في سبيل الله محمود  
حتى يعود بتمكين وتأيد  
قدر الحياة، ومن فادي بها فودى  
للاحتفاظ بعمر رهـن تحديـد  
وليبغ في الأرض شقا كل رعديـد  
عدا الفناء بذكر غير ملحود

\*\*\*

لقد علمتم، وما مثلي يتبئكم  
ما أثمرت هجرة الهادي لامته  
وسودتها على الدنيا بأجمعها  
بدا وللشرك أشياء توطده  
والجاهليون لا يرضون خالقهم  
مؤلهون عليهم من صناعتهم  
مستكبرون أباة الضيم غر حجي

لكن صوتي فيكم صوت ترديد  
من صالحات أعادتها لتخليد  
طوال ما خلقت (٢) فيها بتسويد  
في كل مسرح باد كل توطيد  
إلا كعبد لهم في شكل معبود  
بعض المعادن أو بعض الجلاميد (٣)  
تقال بطش لدان كالأماليـد (٤)

(١) المطارد: فرسان الطراد في الحرب.

(٢) خلقت: استحقت.

(٣) الجلاميد: الصخور.

(٤) لدان: جمع لدن، وهو اللبن.

إلا منازل تشـتـتـتـتـتـت وتبديـد  
إلا كما صـيـح في عـفـر عـبـاـدـيـد  
لـذـى لـوـاء عـلـى الأـهـوـاء مـعـقـود

لا يـنـزل الرأـي مـنـهـم في تـفـرـقـهـم  
ولا يـضـم دـعـاء مـن أوـابـرهم  
ولا يـطـيـقون حـكـمـا غـيـر ما عـقـدوا

\*\*\*

وأـي عـزـم مـذـل القـاـدـة الصـيـد  
شـمـلاً جـمـيـعاً مـن الغـر الأـمـاـجـيـد  
بـل أـيـة الحـق إذا بـيـغـي بـتـأكـيـد  
وأخـذهم بـعـد إـشـراك بـتـوـحـيـد  
بـعـهـدـه لـلـمـسـيـحـيـن والـهـوـد  
ما شـاءه الله عـن عـدـل و عـن جـود  
فـمـن يـفـنـده أولـى بـتـفـنـيـد

بـأـي حـلم مـبـيـد الجـهـل عـن ثـقـة  
أعـاد ذاك الفـتـى الأـمـي أـمـتـه  
لـتـلك تـالـيـة الفـرـقـان في عـجـب  
صـعـبان راضـهـما: تـوـحـيـد مـعـشـرهم  
وزاد في الأـرـض تـمـهـيـداً لـدـعـوتـه  
وبـدئـه الحـكـم بالشـورى يـتـم بـه  
هـذا هـو الحـق والإـجـمـاع أـيـده

\*\*\*

وبئس ما قيل: شـعـب غـيـر مـجـدود  
والـعـام لـيـس إذا ولى بـمـرـدود  
يـفـيـدها قائل: يا أـمـتـي سـوـدي  
وإن رأـي العـدـل قـوم غـيـر مـوـدود  
بـكل خـلق نـبـيـه أخـذ تـشـدـيـد  
وما تـبـالـون أقـداماً بـتـصـفـيـد

أـي مـسـلمـى (مـصـر) إن الجـد دـيـنـكم  
طال التـقـاعـس والأعـوام عـاـجـلـة  
هـبوا إـلى عـمـل يـجـدي البـلاد فـما  
سـعياً وحـزماً، فـود العـدـل و دـكـم  
تـعـلموا كـل عـلم وانبـغوا و خـذوا  
فـكـوا العـقـول مـن التـصـفـيـد (1) تـتـطـلـقوا

\*\*\*

---

(1) التـصـفـيـد: التـقـيـيـد.

(مصر) الفؤاد فإن تدرك سلامتها  
الشرق نصف من الدنيا بلا عمل  
والغرب يرقى وما بالشرق من همم  
تشكو الحضارة من جسم أشل به

فالشرق ليس وقد صحت بمفؤود (١)  
سوى المتاع بما يضني وما يودي  
سوى التفات إلى الماضي وتعديد  
شطر يعد وشطر غير معدود

\*\*\*

أبناء (مصر) عليكم واجب جليل  
فليرجع الرق مرفوع المقام بكم  
ما أجمل الدهر إذ يأتي وأربعنا  
والشرق والغرب معوانان قد خلصا  
صنوان بران في علم وفي عمل  
لا فعل يخطئ فيه الخير بعضهما  
ولا خصومة إلا في استباقهما  
هدى الثمار التي يرجو الأنام لها  
لمصر والشرق بل للخافقين معاً

لبعث مجدٍ قديم العهد مفؤود  
ولتزه (مصر) بكم مرفوعة الجيد  
حقيقة الفعل والذكرى بتمجيد  
من حاسد كائد كيداً لمحسود  
حران من كل تقييد وتعبيد  
إلا تداركه الثنائي بتسديد  
لما يعم بنفع كل موجود  
من روضكم كل نام ناضر العود  
دع زعم كل عدو الحق مريد (٢)

\*\*\*

جوزوا على بركات الله عامكم  
رجاؤكم أبداً ملئ النفوس، فما  
بدا الفلاح، وفي هذا الهلال لكم  
غداً نرى البدر في طرس السماء محا

فقد تبدل منحوس بمسعود  
ينفي بحسني ولا يوهي بتهديد  
بشرى التمام لوقت غير ممدود  
بخاتم النور زلات الدجى السود

(١) المفؤود: المصاب فؤده.

(٢) مرد: الخبيث.

## يحيى بعثة الأطباء الذين ارتحلوا إلى ليبيا لمعاونة

وقال سنة ١٩١١ يحيى بعثة الأطباء المصريين الذين ارتحلوا إلى ليبيا لمعاونة  
المجاهدين العرب الذين قاموا العدوان الإيطالي:

أجر الجهاد وأجر البر بالناس  
صدع الرصاص وجرح الصارم القاسي  
غول الردى بين أنياب وأضراس  
ترى العيون غياضاً فوق أفراس  
ندى الجفاف وتخبو شعلة الباس  
وان هم استوحشوا إخوان إيناس  
ودافعوا الموت عنهم دفع أكياس (٢)  
منا وآلامهم في كل إحساس  
والخلق يذكروها ترديد أنفاس  
بها مراتب فوق الضيم والياس  
ما قد تلاقون من ضر ومن باس  
وفي اعتكار الدياتي خير نبراس  
لبلسما لجراح القلب والراس  
صرعى مطامع قواد وسواس  
لصور الملك الإنسى في آس (٣)

سيروا على بركات الله واغتموا  
ليشف مبضعكم والرفق يعمله  
لهفي على شوس (١) أبطال تلوكهم  
كانوا وقد ركبوا لحرب أبهج ما  
واليوم قد عثروا تندي نضارتهم  
كونوا لهم إن شكوا إخوان تأسية  
ردوا على الوطن الباكي أعزته  
فإن أسقامهم في كل جارحة  
الله مسعاتكم والحق يشكرها  
مبيرة طهرت أرواحكم وسمت  
خوضوا المصاعب لا يلتم بأنفسكم  
هذا الهلال لكم رآد النهار هدى  
وان في ظله النادي برحمته  
أي عصابة الخير داووا أبرياء هووا  
لو صور الله في جسم امرئ ملكاً

(١) شوس جمع أشوس وهو الشجاع الجريء.

(٢) أكياس جمع كيس وهو الفطن الذي يحسن الفهم.

(٣) آس أي مداو للجروح.

## عتب وطني

وقال سنة ١٩٢٠ يعتب على أحرار مصر في موقف تردد:

إن تكونوا حماتها وبنيتها  
أفترضون أن تهون عتيدا  
تكل أوطانكم تباع عليكم  
ما لتلك الذئاب تعتس فيها؟<sup>(١)</sup>  
بعد ذاك الإباء في ماضيها؟  
صفقة بخسة فمن مشترها؟

## رثاؤه لمحمد فريد

ونظم قصيدة رائعة في رثاء الزعيم الشهيد محمد فريد سنة ١٩١٩؛ قال:

أفريد لا تعبد على الأدهار  
بالأهل بالدم بالرفاهة بالغنى  
حررت نفسك دائب المسعى إلى  
مسترسلا والدهر في إقباله  
ثبتا إذا ما الراسخون تفلقوا  
فبررت بالعهد الذي عاهدته  
ما كان ذاك العمر الإقربة  
ومن المنى ما ليس يوفي حقه  
أنت الشهيد الخالد التذكار  
فديت مصر وفديت من دار  
تحريرها لتعز بعد صغار  
مستبسلا والدهر في الإباء  
متوافق الإعلان والإسرار  
ووفيت في الإيسار والإعسار  
موصلة الأصال بالأسحار  
حتى يكون الجود بالأعمار

فريد ومصطفى:

إنني لأذكر مصطفى ورفيقه  
متوخياً إعتاق مصر كلاهما  
وكلاهما يسعى الغداة مذلا  
وكان مصر حيال كل مخاطر  
في مستهلها وفي الإبدار  
وكلاهما لأخيه خير مبار  
سبل النجاح لمقتني الآثار  
إذ ذاك في شغل عن الأخطار

(١) تعتس: تطرقت ليلاً.

في قلبها حب الحياة طليقة  
وضميرها أنا فأنا يجتلي  
عرفا حقيقتها ويثا بثها  
لم يلبثا متآزري بنية  
حتى إذا ما أيقظا إيمانها  
أبدت أساها يوم فارق مصطفى

### فريد رئيساً للحزب الوطني:

ذهب الرئيس فنيط عبء مقامه  
أفريد هذا الشأو قد أدركته  
فتقاض أضعاف الذي قدمته  
إن تلمس جاها اصب ما تشتهي  
والشرق يقبل قد عملت من الأولى  
الشعب شبه البحر لا تأمن له  
فغداً ويا حذرا لمثلك من غد  
يسلو الأولى عبدوك أمس وربما  
فتبيت صفر يد وكنت مليئها  
لكن أبيت العرض إلا سالما  
لم تعتقد إلا الولاء وقد أباي  
وسموت عن أن يستميلك خادع  
فظاللت مبدوك القويم كعهده  
تزداد صدق عزيمة بمراسة  
ما إن تبالي ساهراً مترصداً  
يجني عليك لغير ذنب باغيا  
من كان جار السوء يوماً جاره

لكنها تخشي أذى الإظهار  
فيرى كما اقتدح الزناد الواري  
ثقة وما كانا من الايسار  
مصدوقة في خفية وجهار  
فذا ذكاء النور قبل النار  
هذا الجوار ورام خير جوار

بالأنزه الأوفى من الأنصار  
وسبقت من جارك في المضمار  
واستسق صوب العارض المدرار  
أو رفعة فاظفر بالاسـتـتـيزار  
يتحملون غرائب الأعذار  
ما أمن مقتعد متون بحار  
قد تستفيق ولات حين حذار  
كوفئت من عرف بالاسـتـتـكار  
وتذوق كل مرارة الاقتار  
وإن ابتليت بشـقـوة وضرار  
لك أن تلبى داعي الإخفار  
بالمنصب المزجي أو الدينار  
عند الوفاء وفوق الاستتار  
ورسوخ إيـمـان بالاسـتـمرار  
يرنو إليك بمقالة الغدار  
والبغي جناء على الأطهار  
عدت فضائله من الأوزار

## فريد في السجن:

إن السجن معاهد الأحرار  
أن اعتقالك مطلق الأفكار  
نوراً تضاء به سبيل الساري  
فيلوح فوق ذراه ضوء منار  
ونرى هدي في وجهك المتواري  
غنيت عن الأسماع والأبصار  
علم بأن التم بعد سرار  
لزموا التقرد عن رضا وخيار  
شظفي المعاش لا بسى الأظمار  
لقيام دعوتهم على الأخطار  
بعثوا الهدي كالشمس في الإزهار  
كلم المهيم في اصطعاق النار  
يسمو به راق من الأنوار  
في الغار عن صرعاته في الغار  
للنفس حررها بالاستئسار  
من أن تمحصهم يد المقدار

قل للرئيس إذا مررت بسجنه  
وافيته طوعاً ورأياً ثابت  
إن يحجبوك فإن فكرك رافع  
كم تحجب الظلمات طوداً شامخاً  
إننا لنسمع من سكوتك حكمة  
وإذا النفوس تجردت لمرامها  
حاشاك أن تأسي وهل تأسي على  
الأنبياء انتابهم زمن به  
لجأوا إلى الخلوات واحتبسوا بها  
مسـتـجمعين مروضين قلوبهم  
ومن الغيابات التي أمسوا بها  
سل موحشاً في طور سينا سامعاً  
سل طيف جلجلة يكاد من الطوي  
سل خالياً بحرّاً يابى ربه  
بالعزلة اكتملوا ورب مروض  
لا شيء أبلغ بالدعاة إلى المنى

## فريد في طريق المنفى:

ما فوق غل الجيد والإحصار  
أعلى وأغلى صفقة للشاري  
شرفاً على سجن بغير جدار  
إلا ليدركه القضاء الجاري  
إحدى المدائن سيرت بيخار  
دامي الفؤاد وشيك الاستعبار  
والزاحفات أمينة الأحجار  
ما فيه من غصص ومن أقدار  
لشفاء مسغبة به وأوار

لم يكفه ما كان حتى جاءه  
النفى بعد السجن: تلك عقوبة  
يسموا بها السجن القريب جداره  
لا يترك الجار يعليه حكمه  
أي السفائن تستقل كأنها  
ينأى بها عن أهله ورفاقه  
ينبو ذرا البلد الأمين بمثله  
متأفتاً حين الوداع وفي الحشى  
متشبعاً متروياً مما يرى

يرنو إلى صفر الشواطئ منطقت  
ويذوب قبل البين من شوق إلى  
يستاف ما تأتي الصبا بفضوله  
وبسمعه لحن المواطن جامعاً  
لهفي عليه مشرداً قبل الردى  
من أجل مصر يوم كل ميمم  
لا يوم يسكن فيه من وثب، ومن  
في غربة موصولة آلامها  
تنتابه الصدمات لا يشكو لها  
ثقة بأن الفوز ليس لجازع  
وتعضه الفاقات لا يلوح بها  
حرصاً على المتطولين بفضاهم

#### فريد في مرضه:

ما كان هذا الحد حد عذابه  
صال الشقاء على فريد صولة  
قصرت لياليه على مجهوده  
ما بال ذاك الوجه بعد تورد  
ما بال ذاك الوجه بات من الضنى  
ما بال ذاك العزم بعد مضائه  
ما بال ذاك القلب بعد خفوقه  
أمسى يعالج سكرة في نزعته  
ولو استطاع لما أضاع دقيقة  
وفي بما أعطاه حق بلاده  
أمكانه هذا أتلك حليته  
أكذلك يختم في الشقاء حياته  
ماذا تقى من حقه بعد الذي  
إن الذي يبلاه شاري قومه

أعطافها بالأزرق الزخار  
أنس الحمى وجماله السحار  
من طيب تلك الجنة المعطار  
لغة الأنيس إلى لغى الأطيبار  
سيهيم في الدنيا بغير قرار  
في قومه ويזור كل مزار  
بسكينة للكوكب السيار؟  
أنضته في الرحلات والأسفار  
إلا شكاة المحرب الكرار  
في العالمين، الفوز للصابار  
عزا ويسترها بستر وقار  
أن يجنحوا وجلا إلى الإقصار

تردي الأسود ضرورة الأخدار  
بين الجوانح أنذرت ببوار  
واليوم عدن عليه غير قصار  
خلع النضارة واكتسى ببهار؟  
كالرسم في جرف به منهار؟  
عثرت به العلات كل عثار؟  
تنتابه هددات الاسم تقرار؟  
من لم يذق في العمر طقم عقار  
يمضي الزمان بها مضى خسار  
واليبيت خال والمقلد عاري؟  
والموهبات تردد عواري  
من كان جم الجاه والإيسار  
عاناه كل قلائد الأشعار  
غير الذي نتلوه في الأسطار

عظة وفاته:

ذاك النعي وذاع في الأمصار  
ما كان بالعاتي ولا الجبار

مات الرئيس فراع مصر وأهلها  
مات العصامي العظامي الذي

تحية الختام:

لعشيرة فديتها وديار  
من شكرها بمثوبة الأخيار  
أنست فيك مشيئة للباري

أفريد هذا ما يهيئه الفدى  
نم إن مصرا عنك راضية وفز  
أوشكت أجزع فانتھيت بأنني

## تحية الشهداء

قال في حفلة أقيمت سنة ١٩٢٤ لتحية أرواح شهداء الحركة الوطنية:

## إلى أرواح الشهداء

بلغتم الشأ وتخليداً وتعظيماً  
بمثل إغلائه القربان تقديماً  
أذى يرد فرند الصبر مثلوما (١)  
من غاصب وانتصاف الشعب مظلوما  
فتصبرون ويأبي العزم تحطيماً  
إلى العدى واهنو الإيمان تسليماً  
حق ومن لا يبالي فيه ما سيما  
مجد عزيز على الخطاب إن ريماً  
ذكر يديم اسمه بالتبر مرقوما

تحية أيها القتلى وتسليماً  
لا يعبد المرء ربا لا ولا وطناً  
قلتم وصدق ما قلتم تحملكم  
ما الموت إن كان إنقاذ البلاد به  
يحطم العظم منكم دون بغيتم  
برا (بمصر) وخوفاً أن يسلمها  
ليس الشهادة إلا من يموت على  
إمضوا رفاقاً كراماً، حسبكم عوضاً  
للمشترى بصباه عز أمته

(١) الفرد: حد السيف.

قسط من الفخر فوق العمر تقويما  
يبقي على الدهر مرؤوما ومرحوما  
تظل تأتي بها لأرواح تنسيما

وللتى استبدلت بالقبر مرتعها  
لا تحسبوا مصر تتساكم فكلكمو  
وفي المربع من أرواحكم نسمة

## تحية للذين أطلقوا من الاعتقال

وقال في هذه القصيدة مخاطباً من أفرج عنهم من الاعتقال:

ومبهجي كل قلب كان مغموما  
ثم انطوين وباء البطل مهزوما  
(مصر) يخيم فيها الذل تخيما  
ويلتوي الأمر تحليلاً وتحريما  
من ظن إقليمها للخفض إقليما  
تذود عنها الأشداء المقاحيما  
بالأمس من كان منكمو في رأيه ضيما  
بالأبرياء وبالأبرار تأثيما  
صدق الهوى للحمى دينا وتعليما  
تراقبون ولا ترعون محكوما

يا خارجين كراماً من محاسنهم  
كم كبل الحق بالأصفاد من قدم  
يا سوء دهر قضته قبل نهضتها  
تهي قوى الليث من عيث الذئاب بها  
فالיום عاد إلى رأي يشرفها  
دلت على قوة فيها صلابتكم  
هل يجزئ الشكر من ضيم تحمله  
قد أثموكم وكم من مثلة نزلت  
وبعض ما عاقبوكم فيه جعلكمو  
لا حاكماً دون ما أوحى ضمائركم

\*\*\*

من المرام فليس الفوز مزعوما  
بنوه بالصبر والإقدام تقديما؟  
وهم يبألون تقنياً وتكليماً (١)

لقد ظفرت بما أدنى القصى لكم  
هل استقام زمان لا يقومه  
أو نال حربة قوم بها جدروا

\*\*\*

(١) التكليم: التجريح.

يا سادة كالنجوم الغر منزلة  
حمداً لإقبالكم هذا وحفلتكم  
من الأولى ماونوا عن واجب فبنوا  
أولتكم إن بدا من فضلهم أثر  
فلتحى "مصر" وأبرار نجلهمو

وسيدات كعقد الدرمنظوما  
تهنئون الصناديد المقاديرما  
لعز "مصر" طرفا (١) كان مهدوما  
فكم لهم من جميل ظل مكتوما  
ونحتفي بهم حبا وتكريما

### رثاؤه لأمين الرافي

ومن قصيدة له في رثاء المرحوم أمين الرافي الذي انتقل إلى جوار ربه في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٧. وقد ألقيت هذه القصيدة في حفلة تأبينه:

باعوا المخلد بالحطام الفاني  
تلك الحياة أمانة أديتها  
بالصبر والإيمان أخلص بدوها  
أعرضت عن لذاتها منذ الصبي  
متوخيا من دونها أمنية  
تهوي البلاد ولا هوى لك غيرها  
ظلت تتازعك الصروف بما بها  
مستنزفاً دمك الزكي ولم يرق  
في صولة للدهر تعقب صولة  
حتى قضيت شهيد رأيك وانقضى  
ويح الأبى تسوءه أيامه  
ممن يقدم في الرجال وما به  
ماذا دهى "الفسطاط" حين تجاوبت

وشريت بالأعلى من الأثمان  
بتمامها الله والأوطان  
وختامها بالصبر والإيمان  
والروض تغرى والقطوف دواني  
لم يوه وحدتها شتيت أماني  
أو تفتدي من ذلة وهوان  
من منة، وظلت ثبتت جنان  
بشباة قرضاب ولا بسنان  
منتابفة في الآن بعد الآن  
ما كانت تلقي دونه وتعاني  
وتسر كل مماذق (٢) مذعان  
إلا الطلاء بكاذب الألوان  
أصدؤها لنواك بالإرنان؟ (٣)

(١) الطرف: البيت.

(٢) مماذق: أي غير مخلص.

(٣) الإرنان: رفع الصوت.

وبدا الصباح مقرح الأجنان

وجلا عن القدر المخبأ ليها

\*\*\*

والصدق كيف مصارع الشجعان  
أجرى العيون وفاض بالغدران

خطب أراناً في مجالات الفدى  
فالشرق في شرق من الدمع الذي

\*\*\*

عادتهمو ذكرى فتى الفتيان  
وظليعة لظليعة الفرسان  
يهوي بحيث هويت في الميدان  
يتراکضون إليه خيل رهان

أي "مصطفى" بيكيك قومك كلما  
يوم الوفاء دعا فكنت لواءه  
هذا شهيد من ولاتك خامس  
لكأنهم، والموت أسوأ مغنم،  
بدلوا النفوس لله آذلت وأرخصوا  
فإذا ذكرت وأنت عنوان الفدى

ما عز من جاءه ومن قنيان  
فاسم الرفاق تنمة العنوان

وظل خليل مران يغرد بشعره ألحان الحرية، ولا ينقطع عن التغريد حتى فاض روحه

الكريمة مساء ٣٠ يونيه سنة ١٩٤٩.

\*\*\*